

## بسم الله الرحمن الرحيم

### سادتنا المرسلون أولو العزم في مواقفهم المجيدة

سادتنا المرسلون أولو العزم هم أعظم الرسل الكرام قدرا وأكثرهم بلاء وابتلاء وأحملهم صبيرا على شدائد الرسائل، ونشرها بين الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور ابتغاء مرضات الله تعالى وتأيديه لأمانة ألقاها الله على عواتقهم فأدوها خير أداء دون أن يسألوا الناس على هدايتهم أجرا ، وادخر الله أجرهم عنده لأنه سبحانه هو الذي استعملهم ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) و أقدر على أداء اجرهم .

وأهل العزم من سادتنا المرسلين خمسة جمعتهم الآية السابعة الكريمة من سورة الأحزاب ( وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ) صدق الله العظيم

ولا تعجب أن يتقدمهم في الآية مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وإن تأخرت رسالته في زمانها عن رسالاتهم فإنه أعظم الرسل شأنا وأوسعهم دعوة وأدومهم معجزة وأكثرهم تبعا وقد ختم الله برسالاته رسالات السماء فكان صلوات الله وسلامه عليه كالعنوان يكتب آخرا ويقرأ أولا .

\*\*\*\*\*

- وسأتكلم إن شاء الله عن مواقفهم المجيدة كما صورها كتاب الله الكريم على الترتيب الوارد في الآية الكريمة السابقة :

### المواقف المحمدية المجيدة

استحسننت أن أبدأ كلامي بالمواقف المحمدية المجيدة في الناحية الخلقية التي أكبره فيها قوله تعالى ( **وإنك لعلى خلق عظيم** ) والاسلام خلق فمن زاد عليك في خلقه فقد زاد عليك في اسلامه ولذلك كان صلى الله عليه وسلم الأول في المسلمين عامة الأولين منهم والآخرين لا في أمته وحدها بل وفي جميع الأمم التي سبقتها على مر الأزمان وهذا ما يفسر لك تقديمه في الآية المتقدمة على من سبقوه من إخوانه أولي العزم عليهم جميعا صلوات الله وسلامه فقد اجتمع له في خلقه ما تفرق فيهم ويقول الامام القشيري رضي الله عنه في لطائف إشارته في قوله تعالى ( **وأنك لعلى خلق عظيم** ) أي أنك لا بالبلاء تتحرف ولا بالعطاء تنصرف ....

وقد جمع الشاعر المرسلون أولي العزم حسب مكانتهم من الله سبحانه وتعالى في قوله :

**محمد إبراهيم موسى كلمه ..... فعيسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم**

## الرفقة والرحمة

قال الله تعالى في سورة براءة ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم \* فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ) صدق الله العظيم

ولا شك أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته كما وصفه الله العليم الخبير سيبهرك كما بهرني فقد تميز بأوصاف ثلاث مجيدة :

١- عزيز عليه ما عنتم  
٢- حريص عليكم  
٣- بالمؤمنين رؤوف رحيم  
\* من هم المخاطبون ؟

وقبل أن أتكلّم عن كل ما وصف منها أود أن أبين للقارئ العزيز من هم المخاطبون بقوله تعالى ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم )

- وقد قال العلماء في ذلك خمسة أقوال :
- **الأول** : أنهم العرب كافة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : ( هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ) والعرب لا يقرأون ولا يكتبون وبقوله تعالى ( من أنفسكم ) أي عربي متلكم .
- **الثاني** : أنهم خصوص قريش أو أهل مكة لأنهم المرسل إليهم ابتداء واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ( وأنذر عشيرتك الأقربين ) وهم في النسب قريش وفي المكان أهل مكة وهو من أنفسهم قريشي مكي ...
- **الثالث** : أنهم الثقلان الانس والجن واستدلوا على عموم رسالته بقوله تعالى ( يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ) أي من بعضكم .
- **الرابع** : أنهم خصوص الانس واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) .
- **الخامس** : أنهم خصوص المؤمنين من عرب وغيرهم لقوله تعالى ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) صدق الله العظيم

### ١- معنى قوله تعالى (عزيز عليه ما عنتم)

- وقوله تعالى ( عزيز عليه ما عنتم ) مثبت لكمال انسانيته وشفقته على أهل البلاء، فإن العنت هو المشقة وقد أظهر الله لنا ما أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألم في نفسه كان يعطف به على أهل البلاء في أمر دينهم ودنياهم، **فأهل الكفر والمعاصي في بلاء يكشفه أهل الصفاء** ..... فكيف بسيد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه عليه

والطبيب يقدر خطورة الداء أكثر مما يقدره المرضى لعلمه بأثر الداء آجله وعاجله وقد يستسهل المريض داءه لجهله وغفلته بينما يكون الطبيب في ألم وإشفاق وخاصة إذا وصف لمريضه الدواء الشافي وأبى المريض أن يتعاطاه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب والأرواح يصف الإيمان علاجاً للكفر... والعبادات للطاعة ، فالسعيد من آمن والشقي من كفر وعصى .

- وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يألم لأي مشقة تصيب أحداً من أمته في دينه أو دنياه فإنه على الضدد من ذلك يبتهج بكل خير يصيب المؤمن في دينه أو دنياه لأن نفسه الكريمة التي تألم للشر هي بذاتها التي تسر بالخير فهما احساسان متلازمان وضدوان لا يفترقان في النفس الحرة الكريمة.... وعلى ضدها تكون النفس الدنية الشريرة ويوضح لك مسلكها في شرها قوله تعالى ( إن تصيبك حسنة تسؤهم وإن تصيبك مصيبة يقولوا اخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون ) التوبة الآية ٥٠

وهذه نزلت في أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة التوبة .

وقوله تعالى في سورة آل عمران ( إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط ) آل عمران الآية ١٢٠

- وتلك الأحاسيس النفسية من بواطن الأمور لا يستطيع أن يطلع على حقيقتها إلا الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى.... وإذا أردت أن ترى الفارق بارزاً بين شعور رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعور أعداء الله من الكافرين اقرأ قول الله تعالى في سورة الكهف

( فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ) معنى الآية لعلك قاتل نفسك إذ ولوا عن الإيمان أسفاً منك وحزناً حيث فوتوا على أنفسهم فرصة الانتفاع بما دعاهم إليه القرآن الكريم من الهدى والرشاد فضلوا عن سواء السبيل ... وأنظر رعاك الله كيف يسليه حتى لا يشتد على نفسه الكريمة في التحسر على فرارهم من الحق المبين فيقول له تعالى في سورة آل عمران ( فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد )

ويقول له في سورة الشورى ( فإن عرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ) ويقول له في سورة القلم ( أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون ) فكيف يعرضون عنك وإن لم تطلب منهم أجراً كثيراً أو قليلاً .

ويقول تعالى في سورة البقرة ( إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ) ...

## ٢- معنى قوله تعالى ( حريص عليكم ) :

- الحرص هو شدة الرغبة في الشيء وقوة الطلب.
- وقال الإمام الحسن البصري معنى(حريص عليكم ) أي حريص عليكم أن تدخلوا الجنة
- وقال غيره ( حريص عليكم ) أن تهتدوا واستدلوا بقوله تعالى في سورة النحل ( إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ) وكان صلى الله عليه وسلم يحرص على هداية الخلق أجمعين فقيرهم وغنيهم حاكمهم ومحكومهم سيدهم ومسودهم ، يدعوا هذا وهذا إلى الله تعالى ويود لو دخلوا في دين الله أفواجا لينالوا السعادة الأبدية .
- وقد دعاهم رسول الله إلى الاسلام فرادى وجماعات في منازلهم وفي أسواقهم ليلا ونهارا سرا وجهرا وقاسى في سبيل ذلك الشدائد وتحمل الأذى وقاسى الكروب أنظر كيف صور الله تعالى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بكل ما يملك من وسائل في قوله تعالى في سورة الأنعام ( وإن كان كبير عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيتهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ) وهو ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ملكه الله أن يأتيتهم بآية من السماء أو من تحت الأرض تكون سببا في إيمانهم وهدايتهم لفعل ذلك ولكن قضى الله ألا يؤمنوا..... وقد صدق سبحانه إذ يقول في السورة ذاتها ( من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم )..... ويخفف الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم أسفه على كفر الكفار الذين حرص على هدايتهم للإسلام فيقول تعالى في سورة البقرة ( ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ) .....ويقول تعالى في القصص ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ) ...ويقول في الأنعام ( ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين )
- .....ثم إنه تعالى يخليه من مسئولية التقصير في دعوتهم إلى الإسلام وتلاوة القرآن الكريم على مسامعهم فيقول جل جلاله في سورة الكهف ( ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبه أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وأن تدعوهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبدا) ...وفي حين يخلي الله رسوله صلى الله عليه وسلم من مسئولية التبليغ يلقي الوزر كله على أهل الكفر حيث أعرضوا عن الاستماع إلى دعوة الحق وظلوا على عنادهم وكفرهم، والشقي من أشقاه الله والسعيد من أسعده الله .

## ٢- معنى قوله ( بالمؤمنين رؤوف رحيم ) :

- الرأفة أخص من الرحمة فهي ألطف ولذا قيل أنه صلى الله عليه وسلم رؤوف بالمطيعين من أمته رحيم بالمذنبين منهم وفي ذلك إشارة إلى أن رحمته صلى الله عليه وسلم لا تنقطع عن أمته بل هي دائمة عليهم لا مقطوعة ولا ممنوعة .
- **والرأفة والرحمة:** صفتان كريمتان من صفات الله تعالى ومن أسمائه الحسنی سبحانه رؤوف رحيم جل جلاله قال تعالى في سورة البقرة ( وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ) .... وقال تعالى في سورة النحل ( وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ) .... وقال الله تعالى ممتنا على ساداتنا المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم في سورة التوبة ( ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ) .... وقال تعالى ممتنا علينا في سورة الحديد ( هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم ) ..... وقال الله تعالى في سورة الحشر ( ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ).
- ومن ذلك تدرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلق بأخلاق الله تعالى في الحدود التي تناسب البشرية لأن صفات الله القديمة تختص به سبحانه وليس كمثله شيء ، وصفات الله قائمة بذاته .... وصفات البشرية هبة من هباته وليس الموهوب كالواهب وأين المخلوق من الخالق..... والمرزوق من الرازق..... قال الله تعالى في سورة النحل ( وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ) .... وقد وجه الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث بنعمة ربه عليه..... فقال تعالى في سورة الضحى ( وأما بنعمة ربك فحدث ) ..... وقد تحدث بنعمة ربه عليه وعلمنا فيما تحدث أن نشكر الله بالعجز عن شكره حين ناجى ربه قائلاً :

" سبحانه لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك "

- كما علمنا بفعله صلوات الله وسلامه عليه ألا ندخر مجهوداً إلا بذلناه في مرضاة الله تعالى فقد كان صلى الله عليه وسلم يقوم الليل ويطيل القراءة في صلاته حتى تورمت قدماه ولما سألته السيدة عائشة رضي الله عنها : لما تفعل ذلك يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر... فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ... فكان شكره صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل وقد قال الله تعالى في سورة سبأ ( اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور ) .
- ومن مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم أنه كان لين الجانب في معاملة أصحابه رضي الله عنهم وهو ما يحكيه قوله تعالى في سورة آل عمران ( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو

كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر  
فإذا عزمتم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين )

- ولعلك لاحظت أن الرحمة التي تحلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي عطاء  
من عطاء الله له وقد تنعم بها أصحابه حين عاملهم صلى الله عليه وسلم برفقته وشفقته  
فعفا عنهم فيما كان من حقه واستغفر لهم فيما كان من حق ربه وشاورهم رفعا لأقدارهم  
وصيانة لكرامتهم وتثبيتا لمبدأ الشورى في المسائل الاجتهادية التي لم ينزل بها حكم من  
عند الله ، وقد بين الله لنا أنه لو عامل الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالفظاظة  
وبالغلظة لانتفضوا من حوله وتفرق شملهم ولما قامت الأمة الاسلامية .....

- والجماعة رحمة والفرقة عذاب ويد الله مع الجماعة كما جاء في الحديث الشريف  
فالفارق بين الرحمة والغلظة كبير كالفارق بين الجماعة والشتات وقد دعى الله إلى وحدة  
الأمة وجعلها نعمة من نعمه سبحانه فقال تعالى في سورة آل عمران ( واعتصموا بحبل  
الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم  
بنعمته اخونا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين لكم آياته لعلكم  
تهتدون ) ... كما قال في سورة الأنبياء ( إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون )

- ولا غرابة في أن يتميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف الرحمة وأن تكون  
الرحمة سيماء فقد كانت رسالته رحمة عامة ولم تكن عذاب قال الله تعالى في سورة  
الأنبياء ( وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ) وصدقت الأيام ذلك فسعد برسالته الذين آمنوا  
بالله ورسوله في دنياهم وأخراهم وغيرتهم تلك الرحمة... وأما الذين كفروا فلم يتعرضوا  
للخسف والتدمير والغرق كما فعل الله بالأمم السابقة ولقد أرسل الله مع جبريل ملك  
الجبال فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطبق على الكفار الأخشيين  
( جبلين بمكة ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم  
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وعندئذ قال جبريل عليه السلام : صدق من سماك  
الرؤوف الرحيم .

- ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه : ( اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا  
فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فرفق به )

- كما أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا أم أحدكم الناس فاليخفف فإن فيهم الصغير  
والكبير والضعيف والمريض وذو الحاجة وإذا صلى لنفسه فاليطول ما شاء )

- وقال صلى الله عليه وسلم(من أذى مسلما فقد آذاني ) ...

- وكان صلى الله عليه وسلم إذا سمع بكاء الصبي خفف من صلاته حتى ترعاه أمه

- بل كان صلى الله عليه وسلم يميل الاناء للهرة حتى تشرب .
- لا بل أنه صلى الله عليه وسلم حين صنع له المنبر وتحول عن جذع النخلة الذي كان يخطب عليه فحن الجذع لفراقه فجاءه صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكن فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا(تحزنا علي فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم) .
- وقد أخذ السادة الصحابة الكرام عنه صلى الله عليه وسلم خلق الرحمة فتراحموا فيما بينهم وشرفهم القرآن الكريم فأثبت لهم ذلك التراحم..... فقد قال الله تعالى في سورة الفتح ( محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ) .... قال ابن عباس في معنى (رحماء بينهم) يعني متوادين بينهم... يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم .... وإذا نظر الصالح إلى الطالح ....قال : اللهم اهده وتب عليه واغفر له .... وإذا نظر الطالح إلى الصالح قال : اللهم بارك له فيم قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به ... وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هذه الآية من حلالكم وحرامكم .....
- وفي الحديث الشريف : " من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن منع حظه من الرفق منع حظه من خير الدنيا والآخرة "
- ومن أثار التراحم الذي قام بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آوى الأنصار إخوانهم المهاجرين وأنفقوا عليهم من أموالهم.... فسجله الله تعالى في قوله الكريم في سورة الحشر ( والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) .
- ولعلك أدركت أنهم كانوا يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة منهم قط ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) والخصاصة هي الحاجة ، والإيثار هو غاية الكرم وشيمة الخواص من المؤمنين.... وقد بين الله تعالى لنا أن التراحم يعاوننا يوم القيامة في اقتحام العقبة الشديدة فحضنا سبحانه وتعالى على فك الرقاب واطعام الضعاف الطعام.....حيث قال عز وجل في سورة البلد ( فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة أولئك أصحاب الميمنة )
- وقد جاء في الحديث الشريف : " الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء "
- واليتيم ذا المقربة هو من يربطك به رحم، والمسكين ذا المتربة هو الذي اشتد به الفقر حتى لصقت يده بالتراب .... وقد أخذ سيدنا أبو بكر من الرحمة المحمدية أوفر نصيب ولذلك جاء

عنه في الحديث : " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر " ..... وشهد الله له بالفضل في قوله تعالى في سورة النور ( ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم )

- وكان رضي الله عنه ينفق على مسطح ابن خالته، وكان من الفقراء المهاجرين فلما خاض مسطح مع الخائضين في حديث الإفك الذي نفاه الله وبرأ السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حلف سيدنا أبو بكر ألا ينفق على مسطح فأوصاه الله في الآية أن يعفو ويصفح ويعيد إليه النفقة فأذعن لأوامر الله تعالى راضيا مرضيا وقال حين قرأ عليه مولانا وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآية : بلى أحب أن يغفر الله لي

- وقد دلت الآية كما ترى على فضل أبي بكر عند الله تعالى وعلى عطف الله تعالى ورحمته بالفقراء والمساكين .....وكم أوصى الله تعالى المؤمنين بالفقراء والمساكين في كتابه المبين ، لا بل أنه تعالى أوصى بهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع علمه سبحانه بالرحمة التي فطره عليها سبحانه.... لنزداد بذلك تبصرة وذكرى فقال الله تعالى يوصيه صلى الله عليه وسلم برعاية فقراء الصحابة من أهل الصفة<sup>(١)</sup>

وقد كان الغافلون من اغنياء قريش طلبوا إليه أن ينحيهم عن مجلسه ليخلوا للأغنياء وحدهم..... فقال تعالى في سورة الكهف( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ) وقد جاءت هذه الآية بعد أن قص الله علينا ما كان من أمر أهل الكهف وكان في أمة سابقة على أمتنا فعلمنا سبحانه بذلك أن عباده واللازمين به والمستمسكون بحبله هم أهل رحمته الخاصة وأن وسعت رحمته العامة كل الخلائق .

ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف ( إن رحمة الله قريبة من المحسنين ) والاحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما جاء في الحديث الشريف .

وكأنه تعالى أراد بذلك أن يحرضنا على أن نحسن العمل ولا ندعه تزرعا... بقوله تعالى في سورة آل عمران ( يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ) فلا يجوز أن ندع العمل اتكالا على ما جرت به المقادير والله أعدل من أن يضيع عمل عامل من المؤمنين أو المؤمنات .

(١) الصفة مكان بالمسجد النبوي خلف حجرات النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يأون إليه .



والعمل الصالح مظهر من مظاهر الولاء والعبودية كما هو دليل على تقدير فضل الله علينا في نعمة الايمان وشكرها .

- أما وقد رأيت كيف كان رسول الله عليه وسلم في موقفه المجيد من امته فحاول أن تحاكيه ما استطعت لتكون على قدمه في رأفته ورحمته بالأمة جماعة وأفراد فإنه الأسوة الحسنة للسالكين كما قال تعالى في سورة الأحزاب ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ) فاستعن بالله ولا تعجز والله ولي التوفيق .

### مواقف محمدية مجيدة في البيت

أبرز القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقفه المجيدة في بيته وإليك البيان :

#### حسن العشرة الزوجية :

١- العدل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تعدد أزواجه يحرص على حسن عشرته مع الجميع فكان يعدل بينهن في المبيت على الرغم مع أن الله تعالى وسع عليه في ذلك في قوله تعالى في سورة الأحزاب ( ترجي من تشاء منهن وتوؤى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حلِيمًا ) والآية كما ترى تفوضه في عشرة من شاء منهن وترك من شاء دون أن يكون عليه تبعة عند الله في ذلك ولكنه صلوات الله وسلامه عليه عدل بينهن في قسم الليالي ، حتى في مرضه الأخير فكان صلى الله عليه وسلم يقول : أين أنا اليوم ولما اشتد به المرض استأذن أزواجه الطاهرات أن يبقى في بيت السيدة عائشة حتى لا يجهد النقل من بيت إلى بيت فاذن له رضي الله عنهن .

- وبعده صلى الله عليه وسلم في قسم الليالي بين أزواجه الطاهرات ظهر لهن فضله لأنه لم يكن ملزما أن يقسم بينهن بالسوية ولكنه ألزم نفسه بالعدل بينهن إكراما لهن وتفضلا عليهن ، و لو أنه انتفع بالتفويض المعطلة لرضين عن تصرفه لعلمهن بأن ذلك التفويض إنما من عند الله وليس لهن أن يعترض في نفوسهن على حكم الله العزيز الحكيم فما أروع موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه وما أكرمه في عشرته الزوجية .

٢- مسألة التحريم : بدأت سورة التحريم بقوله تعالى ( يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ) ، روي أنه عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في نوبة عائشة أو حافصة رضي الله عنهن واطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فحرم

مارية عليه فنزلت الآيات الخاصة بهذه المسألة وقد أسر صلى الله عليه وسلم حديثا واستكتمها الحديث ولكنها نبأت السيدة عائشة به فأطلعته الله تعالى على ما كان بينهما فعاتب زوجته على إفشاء السر ..... ويحكي ذلك قوله تعالى ( وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ) وهو ما يدلنا على قوة رعاية الله له صلى الله عليه وسلم وغيرته عليه.... وصدق سبحانه أن يقول في سورة الطور ( واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا )..... وما ارقه صلوات الله وسلامه عليه في أن يعرف زوجته بعضا دون البعض الآخر ولعله قصد التخفيف عنها في الموقف الحرج وتلك الرحمة التي فطرها عليه الله.... وقد حذر الله سيدتنا عائشة وحافصة ودافع عن رسوله صلوات الله وسلامه عليه في قوله تعالى ( إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وأن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ) ... ثم أئذر الجميع في قوله تعالى ( عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا ) وقد تابت بحمد الله السيدتان عائشة وحافصة وسعدتا بعشرة الرسول صلى الله عليه وسلم الزوجية لأن أبدالهما كان متوقف على الطلاق ولم يقع الطلاق .

٣- شظف العيش : كان صلى الله عليه وسلم راضيا بعيشه الكفاف ولو شاء بسطة العيش لأتته على عجل وصدق سيدي العارف بالله يوسف النبهاني رضي الله عنه في قوله يخاطب السادة الأبرار :

**جدكم شاء أن تكونوا كما كان بعيش هو الكفاف الكفاء**  
**لو أراد الغني لا نبتت الأرض نضارا وأمطرتها السماء**  
**فتأسو بسادة سبقوكم فارقوها ومنيت النفس ماء**

ومولانا الرسول صلى الله عليه وسلم يحتمل بطبيعته واستعداده وكمالته ما لا يحتمله غيره لأنه إنما يبغى أرضا ربه في أقواله وأفعاله وأحواله وحسبه من طعامه لقيمات يقمن صلبه.. ومن كسائه رداء يوارى عورته... ومن فراشه حصير يقيه غبار الأرض... ومن سكنه بيت متواضع يؤيه... ولكن البشر يعجزون عن احتمال ما يحتمل ولا يصبرون ، وذلك ما دعا أزواجه الطاهرات أن يسألنه زيادة النفقة ليعشن في بحبوحة الرخاء ويتمتعن بزينة الحياة الدنيا كأهل الثراء فيأكلن أوفر الطعام ويلبسن أجود الملابس ويفرشن أجمل الفرش ويسكنن أبهى القصور .

- وقد أدركهن الله بلطفه فأنزل الله في تخيرهن قوله تعالى في سورة الأحزاب ( يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تريدين الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما )
- وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخيير بالسيدة عائشة وقال لها : إني ذاكركي أمرا ولا عليكي ألا أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قراء عليها ما نزل في التخيير.....فقالت في رشد وتقوى وطهر : أفي هذا أستأمر أبوي ؟ فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة... فرؤي الفرح في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك زوجاته الأخريات آثرن البقاء في عصمته صلى الله عليه وسلم وقد رضي الله عن موقفهن في إيثار عشرته صلى الله عليه وسلم مع شطف العيش على الطلاق منه والتمتع بزينة الدنيا الفانية فكافأهن مكافأة عاجلة وأنزل قوله تعالى في سورة الأحزاب ( لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا )
- ولا تعجب أن يؤثرن الآخرة على الدنيا فإنهن مضاعفات الأجر على الطاعات كما أنهن مضاعفات العقاب على المعاصي لشرفهن وفضيلتهن ويبين ذلك واضحا عندما تقرأ قوله تعالى في سورة الأحزاب ( يا نساء النبي من يأتي منكم بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكم لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وإعتدنا لها رزقا كريما )
- قال الإمام البيضاوي في تفسير مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة.... والرزق الكريم يكون في الجنة زيادة على أجرهما .... وليعلم القارئ الكريم أن صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عيشة الكفاف لم يكن عن تحريم الطيبات على نفسه أو على أمته بل كان زاهدا في زينة الدنيا مع القدرة عليه فإنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي المحتاجين عطاء من لا يخشى الفقر وكان لا يرد سائلا ويعطي بسؤال وغير سؤال وقد أعطى رجلا واحدا غنما تسد بين جبلين وقال الرجل أشهد أنه ما طابت بمثل هذا إلا نفس نبي .
- ويقول السادة العارفين : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك ولكن الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك....كما يقولون : أن الزاهد يملك الدنيا ولا تملكه الدنيا ويرى العلامة العقاد : أن عيشة الكفاف التي صبر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت منها زوجاته إنما هي برهان ساطع على صدق رسالته لأنه كان يملك كل شيء

في الجزيرة العربية وصبر على عيشة الكفاف باختياره ، وقد أضاف رحمه الله قوله :  
إن لم يكن هذا برهان النبوة فأبي برهان يكون ؟

- وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيا في عيشه كفافه تلك كما قال تعالى في  
سورة الضحى ( ووجدك عائلا فأغنى ) فليس الغنى هنا بالمعنى الذي يعرفه عوام الناس  
إنما الغنى هو الذي يعرفه خواصهم ، فبينما يود العوام أن يغبغبوا بالأموال الطائلة  
المكدسة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيا بالله لا بسواه .....

- ومن ثم لم ينقصه شيء يأسف علي فراقه ولو دعا الله أن يغنيه بالقناطير المقطرة من  
الذهب والفضة لاستجاب له ولكنه رضي بالمعطى عن كل عطاء واستغنى بالكفاف عن  
الثراء لأن الله خيره بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختر أن يكون عبدا وعندها قال  
جبريل عليه السلام : " ثبتك الله بالقول الثابت يا محمد " ، وكان ذلك عندما نزل اسرافيل  
مع جبريل عليهما السلام وعرض اسرافيل أن يحول للرسول جبال مكة ذهبا بإذن الله لو  
أراد ذلك وذلك الموقف هو الذي يشير إليه إمام المادحين البوصيري رضي الله عنه  
بقوله في بردته المباركة :

ورأودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم  
وأكدت زهده فيها ضرورتها أن الضرورة لا تعدو عن العصم  
وكيف تدعوا إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

- وإذا كان الله تعالى لم يرض الترف الدنيوي لأزواجه الطاهرات حين شكون من عيشة  
الكفاف أفيرضى الله عيشة الترف الفاني لأحب أحبائه وأكرم رسله.... فلا تعجب أن  
يقول تعالى في سورة طه ( ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة  
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خيرا وأبقى )

- إن حلاوة الطاعات تعوض نقص الماديات والسعادة الحق تكمن في النفس الراضية ولا  
تكمن في البطن الممتلئة... أو الجسد المكسو المزخرف... أو الأثاث الذي يزين الغرف ،  
ومن سعدت نفسه بالظواهر ووقفت عند هذا الحد فقد استغنى بالمحسوسات عن  
الروحانيات فارتضى لنفسه ما ترتضيه الدواب من لذات فانية لا تلبث أن تفتنى وتبيد ،  
أما السعادة الروحية فتنتقل مع المؤمن إلى أخراه في سعادة أبدية

- وتستنشف ذلك في قوله تعالى ( ياأيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية  
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي )

- ومن ثم يتمتع المؤمن في دنياه بجنة المعرفة... وفي الآخرة بجنة الزخرفة وصدق  
سبحانه وتعالى إذ يقول ( ولمن خاف مقام ربه جنتان )

- إن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رأى الحصير أثرت في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى بين يديه صلى الله عليه وسلم.... وسأله : ما يبكيك..... قال: يبكيني أن أرى الحصير أثرت في جنبك بينما قيصر وكسرى يرفلان في الديباج فقال صلى الله عليه وسلم : يسليه ويواسيه : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة .
- وأنت ترى من هذه الواقعة أن عمر رضي الله عنه مع زهده المعروف تزلزل لتكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما ثبت الرسول في موقف زهده المجيد ناظر إلى آخرته طارحا دنياه من قلبه ذاكرا قول الله تعالى ( بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ) فما أروعه صلى الله عليه وسلم في صبره وما أرواعه في زهده... وما أرحم الله بالمؤمنين حين حذرهم من الافتتان بزخارف الدنيا التي يرون الكفار متقلبين فيها... وحين يؤكد للمؤمنين سبحانه أنه جعل بعض المؤمنين أغنياء درءا لهذه الفتنة عن الأمة المحمدية ولولا ذلك لجعل زخارف الدنيا وقفا لأهل الكفر.... وتستبين ذلك في قوله تعالى في سورة الزخرف ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين )
- كما قال تعالى في سورة آل عمران ( لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار )
- ثم هو تعالى ينصح أغنياء الأمة ألا يتلهون بأموالهم عن ذكر الله واليوم الآخر فيقول في سورة المنافقون ( يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربني لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون )
- وذلك ما يفسر لك كيف اختلف مسلك أغنياء الصحابة عن مسلك أغنياءنا.
- فأغنياء الصحابة أنفقوا أموالهم طيبة بها نفوسهم في مرضاة الله أما أغنياء المؤمنين اليوم فإن أكثرهم ينفقون الأموال في حظوظهم الشهوانية فيرضون الشيطان ويغضبون الرحمن لأنهم يكفرون بالنعمة باقتراف المعاصي ولا يشكرونها بانفاقها في سبيله .
- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نعم المال الصالح للمرء الصالح "..... ويعلق سيدي جلال الدين الرومي في كتابه المثنوي على ذلك الحديث فيقول رضي الله عنه : إن المال الذي تحمله من أجل الدين لهو نعم المال الصالح.

- كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم... فالماء في السفينة هلاك بها ، وأما ما تحت السفينة فهو سند لها ، وما كان سليمان يلقب نفسه إلا بالمسكين ، وذلك لأنه صرف من قلبه الاعتزاز بالمال والملك ...
- إن الكوز إذا وضعت في المياه الغامرة تطفو فوق الماء لامتلاء بطنها بالهواء فإذا كان باطن المرء مليئاً بهواء المسكنة بقى ساكناً على صفحة ماء الدنيا ولو كانت الدنيا بأكملها ملكاً له فإن هذا الملك يبدو عديم القيمة أمام عين قلبه فأغلق فم قلبك واختم عليه ثم املأ قلبك بهواء الكبر المنبعث من عالم الملكوت الأعلى .
- أقول : وكلا من هذا يفسر لك دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم " اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً وأحشرنى في زمرة المساكين " فالمسكنة بمفهومها هذا ليست الفقر أو الذلة بل هي الغنى والعزة ( والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ) ولا يكسب المؤمن تلك العزة إلا بالله تعالى لأنه سبحانه انفرد بالعزة ويهب منها ما يشاء لمن يشاء ( من كان يريد العزة فالله العزة جميعاً ) وقد جرت سنة الله في خلقه على أنه اصطفى للعزة الاتقياء الأصفياء الذين آثروه سبحانه على كل شيء فآثرهم على كل شيء.
- ويقول الإمام القشيري رضي الله عنه في كتابه التحبير : إنما يعرفه عزيزاً من أعز أمره وطاعته فأما من استهان بأوامره فمن المحال أن يكون متحققاً بعزة مولاه.
- أقول ويؤيده في ذلك قول الله تعالى في تمام الآية السابقة ( إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ) ( والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر هؤلاء هو بيور )
- ويقول الإمام جلال الدين الرومي رضي الله عنه : إذا بقيت في سكر مادي فأنت بعيد عن السكر الروحي وإذا ظللت ثملاً بالمادة فأنت أعمى عن كأس الروح .
- أقول ومادة المال فتنة أفتتن بها أكثر أغنيائنا إلا من عصم الله وقليل ما هم ، وصدق سبحانه إذ يقول في سورة التغابن ( إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر العظيم \* فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون \* إن ترضوا الله ترضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلیم \* عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ) .
- والآيات المتقدمة ترينا أن المال في يد الغني أداة امتحان فإن اقتحم عقبة الشح الذي تتلبس به النفوس المادية فاز بجزء الله ورضوانه وإن طاول نفسه المادية وبخل بالإنفاق في سبيل الله فقد جر على نفسه شراً حيث تغلبت عليه فتنة المادة وقهرته ، ولا يعينه على

اجتياز الفتنة إلا القوة الروحية يؤثر بها الآخرة على هواه.... وهو ما يحكيه قوله تعالى في سورة النازعات ( وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ) .... ثم انظر رعاك الله كيف يهدد الله البخلاء فيقول تعالى في سورة محمد ( ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم لا يكونوا أمثالكم )

- إنني سألت نفسي كيف اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولم يرد أن يكون نبيا ملكا ؟

- فتكشفت لي في ذلك بعض الأسباب التي يحتملها الموقف في فهمي - والله ورسوله أعلم - وهي :

١- أنه صلى الله عليه وسلم رأى الشرف كل الشرف في الانتساب إلى الله بالعبودية المحضة التي يعتز فيها بربه فيكون غناه بالمعطى لا بالعطاء... وبالوصلة لا بالجزاء ، حتى قيل أنه حين عرج به وصار في مقام القربة والتكريم وأذن له ربه أن يتمنى ما يشاء.... لم يتمنى إلا أن ينسبه إليه تعالى بتمام العبودية فاستجاب الله له ونزل قوله تعالى في سورة الاسراء ( سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ) ..... وقوله تعالى في سورة الفرقان ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ) ..... وقوله تعالى في سورة الكهف ( الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ) ... وغير ذلك من الآيات كما هو معلوم... ويقول العارفون : أن الله تعالى إطلع على قلوب خلقه فوجد القلب المحمدي أشوق القلوب إليه فعجل له الرؤية قبل أن يرى أهل الجنة ربهم في الجنة مصداقا لقوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة \* إلى ربها ناظرة )

٢- إنه صلى الله عليه وسلم صاحب أعظم الرسائل وأعمها ( وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ... وهو للمؤمنين جميعا الأسوة الحسنة في قوله وفعله وحاله ، والفقراء في العالم عامة أضعاف أغنيائهم وفي عيشة الكفاف التي رضيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر عليها صبره الجميل تسليية لفقراء أمته وتعزية لصبرهم على ما أقامهم الله فيه ، وفي تأسيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم سعادة نفسية تعوضهم عن حرمانهم وشنط عيشتهم ، إذ لا يستطيع عاقل أن يعيرهم بفقرهم سواء كان من ذوي القربى أو من غيرهم .

٣- أنه لو جمع الملك إلى النبوة ربما ظن الجاهلون أن المؤمنين اتبعوه خوفا من سلطانه أو طمعا في عطائه وقد دعا صلى الله عليه وسلم الناس كلهم ملوكهم وسوقتهم وأغنيائهم إلى

الله فمن تبعه فقد تبعه لنبوته لا لملكه وسلطانه الدنيوي فكان إيمانه إيماناً خالصاً لا يشوبه أي غرض مادي ولا فتنة الدنيا .

٤- أنه لو تأسى به في عيشته بعض الأغنياء المؤمنين لأنفقوا ما زاد عن عيشة الكفاف في سبيل الله ومن ذلك البذل ما يستخدم في جهاد الأعداء ، وتعليم الجهلاء ، وإطعام الفقراء ، وعلاج المرضى منهم ، ومواساة اليتامى... إلخ.. فيعم الأمة مبدأ التراحم ويشملهم الوصف الذي شمل جيل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم (رحماء بينهم) كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم... وقد قال سيدنا عثمان بن عفان وهو من أغنياء الصحابة : لولا أنني خشيت أن يكون في الإسلام ثلثة أسدها بهذا المال ما جمعته . فانظر كيف كان يجمع المال للخدمة العامة والمصلحة العليا للأمة .

- ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه " والله ما لفرق أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتتافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم " - أقول وقد صح قول صلى الله عليه وسلم... فتتافس المؤمنون الدنيا وهلك في ذلك التنافس من هلك وهم قريبيوا العهد من الرسول صلى الله عليه وسلم.... وقد قال معاوية بن أبي سفيان واصفاً ما كان " أما أبو بكر فلم ترده الدنيا ولم يردها... أما عمر فقد أرادته الدنيا ولم يردها... وأما نحن فقد تقلبنا فيها ظهراً لبطن " - وقد اعترف بما كان والاعتراف سيد الأدلة كما يقول أهل القانون .

٥- أنه صلى الله عليه وسلم علم أن الدنيا فانية والآخرة هي الباقية فأثر ما يبقى على ما يفنى ليتترك لنا في مسلكه درسا عمليا أوقع في نفوسنا من الأقوال لأن التجربة والعيان أبلغ أثرا من الدليل والبرهان ومع ذلك ترك فينا أقواله الصادقة ومن بينها : "الدنيا ممر والآخرة مقر فخذوا من ممركم لمقركم " ....وبذلك حرصنا على الأعمال الصالحة التي ينتقل معنا أثرها إلى دار البقاء مصداقاً لقوله تعالى في سورة النحل ( ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون )

- وهم الصابرون على الطاعات وعلى البلاء والكافون عن السيئات ، ولا تنسى بعد ذلك ما نبهنا إليه العارفون من أنهم كذلك صبروا على العوافي وعلى النعماء فلم يعصوا بها ربهم فتقرب الشاب بقوته في العبادة بهمة ولم تغلبه شهوة الشباب ، وتقرب الغني بنفقة ماله فيما يرضي ربه ولم يغلبه بخل البخيل، وتقرب ذو الجاه إلى الله بخدمة الضعفاء ولم يغتر بذلك الجاه ويزهو به على الناس .

- إن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لم يغير شيئاً مما كان عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وقد توسلوا إليه بأمر المؤمنين السيدة عائشة ليغير نوع ملبسه باعتباره



أمير المؤمنين فاعتذر من ذلك التغير ، وكان إمامنا علي كرم الله وجهه يأكل وهو أمير المؤمنين خبز الشعير غير المنخول وكلموه في ذلك فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل أبيض من هذا ولبس أخشن من هذا فإن لم أفعل فعله خشيت ألا ألق به .

- وكان أئمة المسلمين الأربعة الأوائل خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق لأنهم كانوا أحرص الأمة على التأسى به فيما علموه أو شهدوه من ظاهره وباطنه حيث كانوا في حياته الشريفة وزراء له في حضره وسفره وسلمه وحربه.... لذلك خرج سيدنا أبو بكر عن كل ماله في سبيل الله حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نفعني مال قط ما نفعنا مال أبي بكر .... فبكى سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وقال : يا رسول الله وهل أنا ومالي إلا لك .... وأخرج سيدنا عمر نصف ماله، وأنفق سيدنا عثمان الأموال الطائلة في سبيل الله ، ووقف علي أرضه لله .

- فلم يقف هؤلاء عند إخراج الزكاة المفروضة بل تجاوزوها إلى أضعاف أضعافها إثارة لما يبقى على ما يفنى... كما رباهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجنحوا إلى عيشة الترف التي ورثتنا الغفلة عن الآخرة فصارت بيوتنا قيصرية... وأوانينا كسروية... وأمانينا دنيوية... وعبادتنا شكلية... ولا تنفخ فينا روح اليقين القوية .

- وسيداتنا أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن كن ينفقن في سبيل الله لا يخشين من ذي العرش إقلالا ورضين عيشة الكفاف بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم كما رضينها في حياته الشريفة ، وقد قالت السيدة عائشة حين بلغها نعي أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها : ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل.... ثم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسر عكن لحاقا بي أطولكن يدا فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا في الجدار نتناول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بطول اليد بالصدقة وكانت زينب امرأة صناع اليدين تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله .

- وقد أرسل أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب لأم المؤمنين سيدتنا زينب بعتها وكان إثننا عشر ألف فجعلت تقول : اللهم لا يدركني هذا المال في قابل فإنه فتنة ثم قسمته في أهل رحمتها وأهل الحاجة فبلغ أمير المؤمنين فوقف في بابها وأرسل إليها بالسلام وقال: بلغني ما فرقت سأرسل ألف درهم تستبقيها.... وأرسل رضي الله عنه الألف فتصدقت بها جميعا لم يتبقى منها درهما..... وحين حضرتها الوفاة سنة عشرين قالت : إني قد أعددت كفني وإن أمير المؤمنين عمر سيبعث بكفني فتصدقوا بأحدهما ....

- ويقول الإمام أبو طالب المكي رضي الله عنه في قوت القلوب : إن السيدتين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما كانتا إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا لتابعهما : إحفظ ما يدعو به ثم يردان عليه مثل دعائه ويقولان حتى تخلص لنا صدقتنا .
- أقول فانظر رعاك الله كيف نظرنا إلى أجر الآخرة وحرصنا عليه وخشينا أن تكون دعوة الفقير أجرهما فردتا عليه دعوته بدعوة مثلها له فيبقى لهما أجر الصدقة خالصا يوم القيامة فما أرق مسلكهما وما أتقاهما رضي الله عنهما وعن سائر أمهات المؤمنين .
- وأخيرا أقول أن المال قوام الحياة ولكن يسحر أبواب البشر ويجرهم إلى دنيا الشهوات فتلهيهم عن الآخرة التي خلقوا لها ، وقل من يقاوم هواه ويتقي في ماله ربه الذي أغناه فليس العيب في ذات المال أو في كسبه من حله ولكن العيب كامن في النفس البشرية التي يطغيها المال ( كلا إن الإنسان ليطغى \* أن رآه استغنى )
- فيجب على المؤمن الغني أن يقرأ الآية التي تلي الآيتين السابقتين في سورة العلق ( إن إلى ربك الرجعى ) ليعلم أنه مبعوث يوم القيامة بين يدي ربه وسيسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه.....وما أروع قول السادة الصوفية العارفين : الدنيا حية وليس الشأن أن تقتل الحية... إنما الشأن أن تمسك بها وهي حية.
- وقد قلت مرة في بعض ما كتبت : المال كالنار لا يستغنى عنها أحد ولكنه يجب أن يحذر شررها حين يستعملها في ضروراته فإن لم يحذر وقع الضرر من مكنم الخطر .
- ولعلك بعد ما تقدم استنتبت كيف كان زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيشه وكيف أثر ربه بماله فأعطى المحتاجين عطاء من لا يخشى الفقر وكيف حمله إثثار ربه على أن يكون نبيا عبدا وكيف رضي الله مسلكه في زهده فنصح سبحانه لأزواجه أن يصبرن ما صبر عليه في عيشة الكفاف فإن أبين طلقهن فاخترن ما فيه طاعة الله ورسوله فكافأهن الله ووعدهن الأجر المضاعف والرزق الكريم...وكيف اخذ خواص الصحابة تربيتهم العالية عنه صلى الله عليه وسلم فكانوا السابقين في الأمة كلها .
- ألا فلتنس في ذلك الدرب الممهدة فإن من سار على الدرب وصل ولو سار سيرا أبطأ من سير أسلافه... فالتزام الدرب بداية التوفيق وعلى الله قصد السبيل.... وأنى لنا في أحوالنا أن نبلغ ما بلغوه في جهاد أنفسهم وصفاء نيتهم..... وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا الفرق بيننا وبينهم " الله الله في أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل (١) أحد ذهب ما بلغ (٢) مد أحدهم ولا نصيفه "

(١) أحد ..... جبل معروف بالمدينة المنورة .

(٢) مد ..... ملء اليدين المتوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين .

- وقد قال الشاعر الحكيم :

**وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح**

- فتشبه ما استطعت... وقد العاقبة في الآخرة إذا قصرت... وليكن على بالك دائما قول الله تعالى في سورة الزمر ( أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون أنما يتذكر أولوا الألباب \* قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب )